

تعريف الجغرافية التاريخية ومفاهيمها _ المحاضرة الثانية

إذا أدخل البعد الزمني في الدراسة الجغرافية فإننا نجد أنفسنا إزاء فرع كبير من فروع علم تختص بدراسة Historical Geography الجغرافيا هو الجغرافيا التاريخية " الظواهر الطبيعية والبشرية ولكن في الماضي " 10 1 وبالرغم من أن هذا العلم يعد فرع من فروع علم الجغرافيا إلا أنه يقابل بمفرده جميع فروع علم الجغرافيا العام أو الاصولي ، ولذلك قسم علم الجغرافيا الى قسمين من حيث البعد الزمني اولهما : مايسمى بجغرافية الحاضر أو الجغرافيا المعاصرة . والثاني : مايسمى بجغرافية الماضي أو الجغرافيا التاريخية والتي سندرس نماذج لها داخل صفحات هذا الكتاب . وهكذا نجد أن الجغرافيا التاريخية ليست فرعاً صغيراً من فروع علم الجغرافيا ، بل هي " مجموعة جغرافية متكامل عبر عنها هنتنر بقوله : ليست هناك جغرافيا تاريخية واحدة ، بل هناك ولقد اكد لنا نفس المعنى برستون جيمس (١٩٥٦) عندما Preston جغرافيات تاريخية James ذكر ان " الجغرافيا التاريخي 11

هي جغرافية الماضي التي تعنى بدراسة الظواهر الطبيعية و البشرية خلال فترة زمنية Historical Geography is that معينة ، أو هي جغرافيات الماضي ' .. branch of geo graphy that deals with the changes of geogra the Geogra Or .. phic phenomena through time . phies of the past " !. " فان الجغرافيا . لانها تعني بالتحول او Dynamic Geography التاريخية هي الجغرافيا الديناميكي (٢) Lucien Fehvre التغيير الامر الذي يعد في نظر لوسيان فيفر أهم مشكلة وبسبب اعتماد الجغرافيا التاريخية في بنا الحقائق الجغرافية - على المعلومات والوثائق التاريخية ، فان فاوست يعرف العلم بأنه جزء أساسي من علم الجغرافيا ، نتناول فيه تأثير Historical geography is " II الحوادث التاريخية على الحقائق الجغرافية " essentially that part of Geography in which we are studying the influ ence of historical events on geographical facts ولكن

تدارك النقص الواضح في التعريف السابق عندما لفت نظرنا الى أن Taylor تايلور الجغرافي

التاريخية قد لا تستمد حقائقها العلمية من وثائق تاريخية مدونة فقط ، بل ايضا تستمدها من مصادر علمية اخرى ، ترجع الى تلك الفترة التي لم يتوصل فيها الانسان ال تدوين افكاره او تاريخه ، ومن ثم أجاد تايلور في سد ثغره واضحة ، عندما بين موقف العلم من مرحلة وترتب على ادراك " تايلور لهذا Prehistory عصر ما قبل التاريخ " او ما قبل الكتابة Historic المفهوم أن وضع تعريفه للجغرافيا التاريخية على النحو التالي : مقع 1 11 " 1 geography is the reconstructed geo " graphy of the prehistoric periods or the recons - tructed geography of the periods for which " Historical evidence is available . (1) واستنادا على ذلك ، توافر لدينا العديد من التعريفات للجغرافيا التاريخية

تعريف علم الجغرافيا التاريخية :

تعددت تعريفات علم الجغرافيا التاريخية ، ورغم هذا التعدد فانه يمكن حصرها في ثلاثة اتجاهات رئيسية - الاتجاه الأول منها : وهو مجموعة التعريفات الهادفة . الاتجاه الثاني : وهو مجموعة التعريفات الديناميكية • الاتجاه الثالث وهو مجموعة التعريفات البشرية .

: اولا : التعريفات الهادفة :

تتسم التعريفات الهادفة بالوضوح عند تحديد اهداف علم الجغرافيا التاريخية وهدد بيان مجالاته ، وممن ينتم الى هذا الاتجاه على سبيل المثال :

بانه بهدف الى دراسة تاريخ الكشوف -

ساور : فقد عرف العلم الجغرافية والخرائط وتتبع تطور المعرفة الجغرافية بسطح الارض " ولقد أيده في هذا المجال كل من جلبرت ، و بيكر ، جونسن

- فريمان ولميرو : حيث عرفاها بأنها علم يدرس تأثير البيئة الجغرافية على التاريخ وسير
The influence of environment in the course of
history..or the influence of Geographical factor in history " (1)
كما يعزى اليهما تعريف العلم بأنه علم اعادة تصور الجغرافيا الاقليمية لأي منطقة في -
The reconstruction of the regional geography ,, " " الماضي ..
(2) of the past .

وعلى الرغم من أن بعض التعريفات الهادفة ، قد نجحت في تحديد مجالات العلم ، إلا انه
من وجهة نظرنا كدارسين لا يمكن ان نسلم بها جميعا ، خاصة وأن التعريف الاخير لا
يتصف بصفة التكامل الجغرافي ، وربما يعود ذلك الى طبيعة الموضوع المعالج بالدراسة
داخل اطار جغرافية الماضي فربما لا تتسم الظاهرة بالصبغة الإقليمية بل تتسم بالشمولية
، ومن هنا فانها تخرج من حيز الإقليمية " لتنضم الى نطاق الاصوليه عند هذا الحد نصل
الى قصور هذا التعريف ، وربما اذا لجأنا الى تعريف برووكس () غار (١٩٧٠ م)
لوجدناه رغم عموميته الواضحة .. إلا انه لم يحتبس داخل اطار مكاني محدد .. فلقد ذكر
برووكس ان " الجغرافيا التاريخية أو القديمة ، هي علم يهدف الى اعادة تصور الاحوال
(C.E.P.) Brooks الجغرافية السابقة)

وقد تكون عامة أو خاصة الوقت من أصعب العلوم الجغرافية وهي في نفس من اصعب
Palaeogeography . Or reconstruction of former
geographical conditions , is a very difficult science " (1) ..

: التعريفات الديناميكية : وتدور هذه التعريفات حول اعطاء العلم صفة (الحركية أو
الديناميكية) فرغم ان جغرافية الماضي تبدو تدور حول محور ثابت (ستاتيكا) في
ظاهرها إلا أن أغلب . التعاريف تؤكد تراجع هذا المفهوم وتشير الى الماضي بأنه التغير
، و الى التغير بأنه الحركية . ويتضح ذلك من عرض نماذج لتلك التعريفات على النحو
التالي : تعريف تايلور : وهو الذي عرف الجغرافية التاريخي بأنها جغرافية الماضي .
ولقد عرفها هالفورد ماكيند بأنها علم دراسة الحاضر التاريخي . به ومن هنا بدت الصلة
بين الجغرافيتين في الحاضر والماضي (باعتبار ان الجغرافيا التاريخية هي جغرافية
الحاضر الديناميكي ، ذلك لأن الحاضر بعد مضي فترة زمنية لا بد أن يصبح جزء من
الماضي ، ومن ثم فالحاضر سيصبح بلا شك ماضي جغرافيا ويدخل بذلك ضمن الجغرافيا

التاريخية . ومن هنا يذكرنا فيلسوف الجغرافيا هارتشورن في مطلع القرن العشرين ، بأن " جغرافية الحاضر انما تكتسب عمقا ومعنى بالرجوع الجغرافية الماضي " (٢) ون
Hartshorn

ثالثا : التعريفات البشرية : أن التعريفات البشرية لعلم الجغرافيا التاريخية تنفي عن العلم صفة التوازن " الجغرافي فهي تعريفات تكاد أن تجذبه صوب الانسان ومن ثم كان لها الصفة البشرية على حساب الجوانب الطبيعية ولعل أبرز الأمثلة على ذلك تعريف بتصنيفه لفروع علم الجغرافيا ، Roxby وروكسي وهارتز هورن فلقد تأثر روكسي البشرية ومن هنا انحاز الى هذا الجانب رغم توضيحه لصف العلم التركيبية ، ومن هنا يذكر (ان الجغرافيا التاريخية دراسة تحليلية أو نقدية لتطور الملاءمة بين الانسان والطبيعة ، كما تظهر في تاريخ المحلات العمرانية ، أو استغلال الارض او العلاقات التجارية والثقافية ، أو في تطور الوحدات السياسية (أو الدول) والعلاقة بين بعضها على السير في نفس Hartshorne ولقد درج هارتسهورن IT & البعض . (١) . الاتجاه فقام بتعريف العلم بأنه علم يقوم بشرح توزيع الجماعات البشرية ، ووصف تكوينها العنصري ، وتطوره عبر التاريخ ، بالاضافة الى دراسة النواحي الاقتصادية والسياسية المنطقة ما خلال فترة تاريخية ما . (٢)

الخلاصة :

- ١_ ان استخدام صفة الجمع في تعريف الجغرافية التاريخية بأنها جغرافيات الماضي بعد تعريف متكامل ويعزى ذلك الى هنتنر ، وبرستون جيمس ، الذي أضاف إليها صفة الشمولية عندما ذكر انها تعالج الموضوعات (طبيعية وبشرية) على السواء
- ٢_ أنه يمكن ايجاز تعريفات الجغرافيا في هيئة تعريف جامع لها على النحو التالي هي جغرافية الماضي ، الذي يعد حصيلة الحاضر المتغير وهي العلم الذي يصور الديناميكية الجغرافية من اجل اعادة تصور جغرافية المكان وذلك بالتعمق داخل جذوره ومن هنا فهي تضي على ماضي المكان قيمة وتبعث فيه الحياه بعد أن ظل أثر بعد عين "

٣_ . ان ظاهرة تعدد التعريفات المتعلقة بالجغرافيا التاريخية إنما تدل على مدى اهمية هذا العلم حتى وقتنا الحالى . رغم مايتعرض له من هجوم شديد على من هم أقل دراية أو الدعاة الذين لا يوقفون أهميته التطبيقية بحجة التغير وتقاليع الابتكار المصطنع ذلك الاتجاه الذي بدأ يطفئ متأخرا على المجال الجغرافي بكل فروعهِ وتشعباته داخل نطاق منطقتنا العربية على الأقل . (١) ولربما تبدو قيمة الجغرافيا التاريخية لجغرافى الحاضر كما سبق أن أشرنا بشكل واضح في رأى هرتسهورن السابق عرضه ، وهو الذي يربط أهمية كل منهما بالآخره في عبارته المأثورة " بقوله ان جغرافية الحاضر تكتسب بعديين هما العمق والمعنى عند الرجوع بها الى جغرافي الماضي التاريخية . 40 .

علاقة الجغرافيا التاريخية بعلمي التاريخ و الجغرافيا البشرية

وفي هذا المجال نجد أن الجدل ينقسم في طبيعته الى قسمين رئيسيين

١_ أولهما جدال خارج نطاق علم الجغرافيا . ، أي أنه جدال بين العلم وعلم آخر هو علم التاريخ .

٢_ جدال داخل نطاق علم الجغرافيا ، تقسم في الجغرافيون أنفسهم الى فريقين ، فريق الجغرافي الطبيعية وفريق الجغرافيا البشرية ، كل منها يحاول جاهدا أن ينسب أو بجذب العلم نحوه

ونظرا لغرابة الجدل " الداخلي والخارجي حول علا الجغرافيا التاريخية ، فإننا سنعرض له من اجل تحديد مكان العلم على المستويين من جهة ، ولتقدير مدى ما يعانیه الجغرافي التاريخي المتخصص من شمولية وتشعب علمه سواء على مستوفر على الجغرافيا ككل ومايحتويه من اقسام طبيعية متعددة ، وأخرى بشرية متنوعة أو على مستوى التقارب بينه وبين علم التاريخ بقسميه ماقبل الكتابه ومابعدها ..

اولا : العلاقة الخارجية لعلم الجغرافيا التاريخية في علم التاريخ (يعرف لنا فيودور (عام ١٩٨٥ م) علم التاريخ فيذكر ان اصل كلمة Fyodor Korovkin كورفكن History is an تاريخ اغريقية قديمة ، وتعني علم دراسة الرواية او الحديث " اما العلماء " and narrative " meaning study .. ancient Greek word ..

المحدثين فهم يعنون بكلمة تاريخ ، أنه على يدرس الكيفية التي كان يعيش عليها البشر ، وكيف تمكنت مجهوداتهم من تغيير شكل الارض ، كما انه العلم الذي يدرس كيف ولماذا تغيرت حياة البشر حتى وصلت الى ما هي عليه

وفي هذا المجال ينبغي أن نلاحظ أن مفهوم لفظ التاريخية لعلم الجغرافيا اما يعني عدم وجود صلة بين علم الجغرافية والتاريخ ، ذلك لأن مدلول هذه الكلمة انما يعني فقط الماء ورغم هذا فاننا لا نستطيع أن ننفي تماما الصلة بين علما الجغرافيا والتاريخ . | هو فاذا كانت الجغرافيا هي علم المكان " ، كان التاريخ علم الزمان " و العلاقة بينهما كانت موضوعا قديما طالما شغل اذهان المشتغلين بدراسة المجتمع البشري على سطح الارض لهذا ففي الواقع لا يمكن فصل عاملي المكان والزمان بعضهما ، أي لا يمكن قطع الصلة فعلم التاريخ ، بدون جغرافية شبيهه . Michelet نهائيا بين علم الجغرافي والتاريخ .
بجثة ميته لا حياة فيها او حركة على الاقل . ولقد صور ميشيلا عام ١٨٢٣ فى كتابه الذي درس في تاريخ فرنسا تلك العلاقة بشكل بليغ ودليل ذلك قوله : أنه بغير الاساس الجغرافي فان صانعى التاريخ لنا كما لو كانوا يمشون في الهواء بحيث يشبه في هذا الصدد الصور الصينية التي يتحرك افرادها على غير

أرض . . . ويضيف ميشيله الى ماسبق : اننا يجب الا ننظر للمكان على انه مجرد مسرح لاحداث التاريخ بل ان للمكان أثرا واضحا في اشكال اخرى متعددة كالطعام ، (٢ .) II 11 والمناخ ، وهو الذي يوتر ايضا في الجماعات البشرية او الافراد

ولقد كان لرأي ميشليه اثره البالغ في جيل المورخين الفرنسيين ، بحيث اصدروا كتاباتهم ودراساتهم التاريخي مشفوعة بمقدمات جغرافية احتذاءً برائدهم ميشيليه في هذا المجال .. وكان من أبرز الامثلة على ذلك كتاب في دال دي لابلاش " الجغرافي الفرنسي الذي وضعه عن " جغرافية فرنسا عام ١٩١١ ، و الذي يعد مقدمه جغرافية بالفعل لكتاب لافيس ع تاريخ فرنسا . -

كما أن علم الجغرافيا بغير التاريخ ، قد يكون له من جانبه حياه أو حركة ولكنها تصبح بغير نسق أو نظام أو ترتيب ، فعلم التاريخ يعد الجغرافيا التاريخي باطار زمني واضح

المعالم " ، وعلى الجغرافي التاريخي الالتزام به ، بمعنى أنه لا يدرس ما قبله ولا يخوض الى مابعدہ فاذا تخصص مثلا في جغرافية عصر ما قبل التاريخ فعليه أن يحدد مداه الزمني حتى لا تنزل قدماءه ويتحول الى مورخ جغرافي أو جغرافي تاريخي باهت المعالم وعن أهمية التاريخ للجغرافيا ، فاننا نذكر ايضا ان الكثير من TO IP أو الملامح . الحقائق الجغرافية الحالية قد تبدو غامضة او غير مفهومه ولكنها لا تلبث أن تبدو واضحة عندما نلقي عليها ضوء تاريخيا متطورا عند هذا الحد نجدها وقد اتصلت بجذورها الحقيقية وتبدو في هيئة متكاملة المعالم (1) . وهكذا اذا ما سلمنا بأن المورخ في حاجة ماسة الى الجغرافيا ، فان الجغرافي بدوره لا يستغني عن علم التاريخ . اذ كيف يتاح له الخوض في الجغرافيا التاريخية دون ان يتزود بعمق من التاريخ ، بحيث يستمد منه مادته وحقائقه لهذا فلا غنى لكل منهما عن الاخره .